

بنكر هيل..الرسم على وقع طبول الحرب»



الشارقة: عثمان حسن

الرسام الأمريكي جون ترمبل (1756 - 1843) أحد الفنانين الذين اشتهروا في فترة حرب الاستقلال، وقد عُرف بلوحاته التاريخية عن هذه الحرب، فهو عدا عن كونه رساماً، فقد كان من قدامى المحاربين في هذه الحرب؛ لذا أُطلق عليه لقب «رسام الاستقلال».

لجون ترمبل أربع لوحات شهيرة معلقة في مبنى الكابيتول بالولايات المتحدة، ولد في كونيتيكت، ووالده هو جونان ترمبل، حاكم لولاية كونيتيكت من 1769 إلى 1784؛ حيث ينحدر جونانان من طرف والده ووالدته من عائلته من المستوطنين البيوريتانيين الأوائل في الولاية.

صور جون ترمبل في بوسطن أبرز المناوشات الحربية بين البريطانيين والأمريكيين خلال حرب الاستقلال، أما كجندي، فقد عين في يونيو/حزيران 1776، نائباً معاوناً للجنرال هوراشيو جيتسو، وكانت أعظم إنجازاته الفنية في تلك الفترة لوحة «معركة بنكر» أو «بنكر هيل».

أنهى جون ترمبل لوحة معركة «بنكر هيل» بألوان الزيت، في عام 1786، وهي تصور ذروة المعركة، عندما اجتاح البريطانيون المعقل الأمريكي، وكان الدكتور جوزيف وارن، أحد الرجال الذين صمدوا حتى نهاية المعركة، وهو طبيب عسكري وسياسي أمريكي، ولد في 11 يونيو/ حزيران 1741 وتوفي في 17 يونيو 1775، ووصف بأنه زعيم المقاومة الوطنية ضد الاستبداد البريطاني في بوسطن، قاتل بشراسة في معركة «بنكر هيل» بصفته جندياً عادياً على الرغم من تعيينه قائداً عاماً لقوات ماساتشوستس قبل أيام قليلة من بدء المعركة.

وقد أدى موت د. جوزيف على يد البريطانيين، إلى اعتباره رمزاً وبطلاً، كما هي حال أبطال المعارك الحاسمة في التاريخ البشري، وارتفاعه إلى مثل هذه الهالة، يمثل الحدث المركزي في اللوحة، التي تظهر رفاقه من الجنود وهم يحتضنونه، وقد بدت عليهم مشاهد عاطفية مؤثرة، فقد مات فداءً للمثل العليا في الحرب الثورية.

تفاصيل

تبرز في اللوحة ثيمات التيار أو المدرسة الرومانسية في الفن، وهي المدرسة التي اهتمت برسم التفاصيل، ناهيك عن إبراز اللحظات الحاسمة أو المؤثرة، كونه مات بطلاً في المعركة، وقد بدا واضحاً اهتمام الرسام بإبراز الزي الحربي الذي كان معروفاً في الحرب الثورية الأمريكية، فقد برع ترمبل في إظهار معالم هذا الزي كما هو في تفاصيل سترات ومعاطف الجنود التي تظهر باللونين الأحمر والرمادي، وكما هو في تفاصيل الأحذية والبناطيل والبنادق وقبعات الجنود وكافة متعلقات الحرب.

كانت حرب الاستقلال في أمريكا، قد انعكست بقوة في الفن الرومانسي على يد كثير من الرواد من بينهم جون ترمبل، ما يؤكد قوة العواطف الإنسانية التي تبرز مشاعر الخوف والرعب والهلع والألم. وكان أن قوبلت هذه اللوحة بشعبية جارفة عند جمهور الفن، بما فيها من خيال جامع وأصيل يعمق التجربة الجمالية ويدعمها.

حدثت وقائع معركة «بنكر هيل»، المعروفة أيضاً باسم معركة «بريدز هيل» في 17 يونيو/ حزيران 1775، في تشارلزتون، بوسطن، وتوصف بكونها من أكثر الأيام دموية في الحرب الثورية. أمطرت قذائف المدافع البريطانية الجنود الأمريكيين الذين كانوا يدافعون عن تلين أو مرتفعين يطلان على بوسطن، وقد أطلق كابتن ولاية كونيتيكت صموئيل ماكليان النار على القوات البريطانية، تلاه قيام الجنود الأمريكيين بستراتهم الحمراء بمهاجمة القوات البريطانية التي كانت ترتدي أحزمة تدل على شعار الفوج العسكري.

ال 23، الذين كانوا يحملون سيوفاً أثناء تقدمهم إلى الأمام، ما تسبب بوقوع خسائر فادحة بينهم، بعض المؤرخين يشيرون إلى أن خسائر المعركة تسببت بخسارة نحو 100 جندي أمريكي، وأصيب 305، بينما عانى البريطانيون قسوة أشد، بعد أن تكبدوا أكثر من 1000 ضحية، في حرب وصفت بأنها كانت صادمة للجانبين.

في عام 1784، بعد اعتراف بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة، عاد ترمبل إلى لندن لدراسة الرسم، فرسم عدة لوحات مهدت للموافقة على السماح له بعرضها من قبل الأكاديمية الملكية للفنون في ذلك العام. وأثناء عمله في الاستوديو الخاص به، رسم ترمبل «معركة بنكر هيل» و«موت الجنرال مونتغمري» في الهجوم على كيبيك، وكلا العمليتين تم حفظهما في معرض الفنون بجامعة ييل.

أثناء وجوده في باريس، أصبح رمزاً فنياً معروفاً، كما رسم ترمبل لوحة «إعلان الاستقلال» بتكليف من الكونغرس الأمريكي، جنباً إلى جنب مع ثلاث لوحات عن الحرب الثورية أبطالها الجنرال بورغوين واللورد كورنواليس وجورج

.واشنطن، وكلها معلقة الآن في القاعة المستديرة لمبنى الكابيتول بالولايات المتحدة

فنون

أثناء الحرب وبعدها مباشرة، رسم فنانون في أمريكا وأوروبا مشاهد لبعض أحداثها المحورية، بعضهم لإظهار الفخر القومي أو الفردي، والبعض الآخر لجني الأرباح والبعض الآخر للكشف عن وحشية الحرب. وابتكر الفنانون لوحات بتفاصيل دقيقة إضافة إلى مشاهد عاطفية مؤثرة، وقد استمرت وتيرة اللوحات التي ظهرت في مقتنيات أمريكية وأوروبية، تتبع مسار الحرب من خلال مشاهد درامية، ومقنعة تصور النضال الثوري كما تصور مهابة الانتصار من فترة خالدة في تاريخ حروب الاستقلال الأمريكية

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024